مظاهر وآليات تجديد الخطاب الديني
في العلوم الشرعية

الباحث / جابر طايع يوسف

ويشتمل هذا البحث على خمس مباحث وهي:

المبحث الأول: التجديد في علم العقيدة

المبحث الثاني: التجديد في علم الفقه

المبحث الثالث: التجديد في علم التفسير

المبحث الرابع: التجديد في السنة النبوية

المبحث الخامس: التجديد في علم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

المبحث الأول: التجديد في علم العقيدة

كان صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلقون العقيدة بمنتهي القبول والتسليم لأن ذلك مقتضي التصديق والإيمان به رسولا من عند الله ، ولم يقع من أحد منهم تردد أو استشكال لشيئ من ذلك ، وبهذا المنهج القويم حافظ سلفنا الصالح على صفاء ونقاء العقيدة الإسلامية ، وفُضحت فرق الضلال والزيغ ، واندثر أكثرها رغم ما تهيأ لها من إمكانيات مادية ومعنوية .

والواجب علينا في هذه الأيام أن نسير علي طريق السلف الصالح في تجديدنا لعلم العقيدة وذلك عبر تحديد مكمن التردي ، وبيان أسباب الانحراف ، ثم بعد ذلك نصحح المسار ونُعيد الأمور إلي نصابها الصحيح وفي هذا المقام أقدم ستة محاور في مجال تجديد العقيدة:

١- " عدم التركيز على المسائل التي قسمت العالم الإسلامي إلى فرق وطوائف في مجال العقيدة ، مثل : نظرية الكسب ، ودليل التمانع ، وإبطال الدور التسلسلي، ومرتكب الكبيرة بحيث نتجاوز هذه القوالب المذهبية التي تقود إلى الفرقة... واعتبار آراء الفرق الإسلامية تراثاً فكرياً يعبر عن مرحلة معينة من تاريخ الفكر الإسلامي ، يتم دراستها في المستويات الدراسية المتقدمة ، الماجستير أو الدكتوراه، أما حشو كتب طلاب العلم بهذه المجادلات الكلامية ، فأمر لم يعد مقبولا مستساغا ، ولدينا نموذج ناضج لكتابة العقيدة في ضوء هذا المنهج وهو كتاب (عقيدة المسلم) للشيخ محمد الغزاليّ وهو كتاب يستحق مراجعته من قبل لجنة علمية متخصصة لتدعيمه بالأحاديث ومواقف السلف الصالح إيذانا بتدريسه للناشئة في المراحل التعليمية المختلفة.

٢- الاهتمام بمسألة الإعجاز، وغرض البحث في الإعجاز: تقوية العقيدة الإسلامية بربط الحقائق الإيمانية بالعلوم الكونية والحقائق التاريخية ، ولدينا نموذج ناضج في هذا المجال وهو كتاب(الإسلام يتحدى) لوحيد الدين خان ، وهو لون فريد من التأليف في مجال العقيدة وترسيخ الإيمان في النفوس ، بربط الآيات القرآنية بالإعجاز العلمي

، والتحقق التاريخي للأحداث التي أنبأ القرآن أو الرسول صلي الله عليه وسلم ، وهذا الكتاب أيضا في حاجة إلى مراجعة ليكون حجر الزاوية في تدريس العقيدة من خلال هذا الجانب ، مع تدعيم الكتاب بعدد وفير من شواهد الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، والسنة النبوية والتأكيد على أنّ هذا الكون لابد له من خالق ، وأن البعث والعرض عليه يوم القيامة ليست مسألة وهمية.([1])

٣- الاهتمام بالتيارات الفكرية المنحرفة ، وفضحها ، وتعريتها أمام الجميع وخاصة الشباب وإظهار زيفها ، مثل : القاديانية ، والوجودية ، والبهائية ، الماركسية ، والماسونية والبابية فهذه التيارات لا تختلف مع الإسلام في الفروع فحسب ، وإنما في العقيدة والأركان.

٤- البعد عن الجدل غير المثمر وغير المفيد ، فبدلا من تقسيم التوحيد إلي توحيد إلوهية وتوحيد ربوبية ، وتوحيد صفات ، وغير ذلك من الأمور التي لن يستفيد منها أغلب الناس نركز علي نعم الله تعالي وآلائه التي لا تحصي ، وأن الله سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض ، من أجل غاية واحدة ، هي أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئا.

وبدلا من البحث حول القرآن، هل هو مخلوق أم غير مخلوق ؟؟ نقول : عن القرآن أنزله الله لنعمل به ، فلنأتمر بأمره ولنقف عند نهيه . وبدلا من البحث في علم الله ، وهل هو بذاته أم بصفة من صفاته زائدة على الذات ؟ نقول إذا كان الله يعلم عنا كل شيء من سرنا وجهرنا؛ فيجب أن نسلك في الحياة سلوكا موافقا لشرع ربنا حتى يعلم عنا ما يرضاه منا([2]).

٥- الابتعاد عن التلقين الصوري وجعله وسيلة للإقناع وتربية الإيمان ، فالإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، لابد أن يتجاوز حدود المعرفة النظرية إلي الجوانب السلوكية، فيترجم في الحركة الإنسانية سلوكا فعالا نحو تقوي الله والانقياد له .

٦- ومن مهام تجديد العقيدة تحقيق التوحيد: " وتحقيق التوحيد : هو معرفته ،والاطلاع على حقيقته ، والقيام به علما وعملا ، وحقيقة ذلك هو : انجذاب الروح إلى الله محبة ، وخوفا، وإنابة ، وتوكلا، ودعاء، وإخلاصا، وإجلالا،وهيبة، وتعظيما، وعبادة، وبالجملة فلا يكون في القلب شيء لغير الله ، ولاإرادة لما حرم الله ، ولا كراهة لما أمر الله ، وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله فإن الله هو المألوه المعبود بحق([3]).

[1] انظر:- د/ محمد حسانين حسن حسانين ، تجديد الدين ،صـ ٤٣٠-٤٣١.

[2] - انظر : علي طنطاوي ،تعريف عام بدين الإسلام في العقيدة ، ٩٤/١- ٩٥ .

[3] - انظر: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، صـ٧٦.

المبحث الثاني: التجديد في علم الفقه

بما أن العالم اليوم يمر بمتغيرات عديدة ، وأصبحت الهوة بين الماضي والحاضر متسعة فكان لابد من إعادة النظر أمام النصوص والحوادث حيث المرونة والسعة والتكيف مع كل جديد، وهي المميزات التي جعلت الشريعة الإسلامية قابلة وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

خطوات تجديد الفقه وإصلاحه في العصر الحديث، ويمكن ايجازها فيما يلي:

أولا: فتح باب الاجتهاد الجماعي المؤسسي

"الاجتهاد من مصادر الشريعة الإسلامية ، ولكنه مصدر ليس معصوماً صاحبه من الخطأ وبذلك يختلف الاجتهاد عن القرآن والسنة والإجماع ، وهو مع ذلك ليس رمياً بالباطل واتباعا للهوى ، وإنما استفراغ الجهد في حمل ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص صريح ، أو حمله على المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، أو حمله على قواعد الفقه العامة ، مثل قاعدة: لا ضرر ولا ضرار([1])، لذا يُعد ما فعله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه من استبعاد المؤلفة قلوبهم من أسهم الزكاة دليل علي جواز توجيه النص إلي كيفية الاستعمال ، ويعد هذا من قبيل تجديد الظرف الذي يجب فيه استعمال النص فإذا تغير يتغير الحكم ، ومن الأمور الهامة الملحة المعاصرة التي يجب أن يتوجه المجتهدين إليها مجالين :

أولهما: مجال المعاملات المالية: كالشركات الحديثة، والتأمين بأنواعه المختلفة والمصارف (البنوك)، وأنشطتها المتنوعة، وعقود الخدمات، وبيع العربون، وغيرها من المسائل المرتبطة بفقه المعاملات.

ثانيهما: الأعمال الطبية والجراحية ، مثل : بنوك الحليب ، والإجهاض والحمل الاصطناعي وطفل الأنبوب ،وزراعة الأعضاء ، والتحكم بجنس الجنين ، وغيرها من المسائل المرتبطة بالأعمال الطبية والجراحية ([2]).

وواضح أن هذه القضايا تصدت لها دراسات عديدة ، ولكن الأمر بات في حاجة ماسة إلى اجتهاد جماعي ، بعدما اشتد خلاف العلماء في هذه القضايا المثارة ، كما أن كثيراً من القضايا التي تحتاج إلى اجتهاد ذات جوانب متعددة، بعضها علمي ، وبعضها اقتصادي وبعضها قانوني ، وردها إلى عالم الفقه ، وعرضها على الأدلة والقواعد العامة والمذاهب المختلفة يحتاج إلى جهود جماعية تتأبى على الفردية ، خاصة وأن : "الاجتهاد الفردي غير منتج في وضع القوانين ، بل يكاد يكون محالا أن يقوم به فرد، والعمل الصحيح المنتج هو الاجتهاد الجماعي ، فإذا تبودلت الأفكار، وتدوولت الآراء ظهر وجه الصواب([3]).

---

[1] - انظر: محمد حسانين حسن حسانين، تجديد الدين مفهومه ، وضوابطه ، وآثاره ،صـ٤١٤- ٤٢٠.

[2] - انظر: د/ وهبه الزحيلي ، الرخص الشرعية أحكامها وضوابطها، صـ١٢ .

[3] - انظر: أحمد محمد شاكر، الشرع واللغة ، صـ٩٥ .

ثانيا : تيسير وتبسيط المادة الفقهية.

ويتمثل ذلك في ربط الفقه بالواقع ، ومن أمثلة ذلك بيان الحكم في أنواع الشركات القائمة حاليا ... وألا يتوسع في زكاة الأنعام ، وإنما يتوسع في زكاة الأموال المتداولة حاليا ، من ودائع استثمارية ، واستثمارات عقارية ، وغيرها ، وألا يقتصر علي ذكر المقادير الشرعية ، كالصاع والوسق والقُلة والذراع والدرهم والدينار والأوقية ونحوها... ونصاب الزكاة ، ونصاب السرقة ، وأقل المهر والدية ونحوها ، وإنما ترجمة ذلك إلي مقادير العصر الحاضر ، حتى يمكن للناس تطبيقها في حياتهم المعاصرة ([1]).

ثالثًا : تقنين الفقه الإسلامي :

بعدما قمنا بالدعوة إلي إعادة فتح باب الاجتهاد ويسرنا وبسطنا فهم المادة الفقهية وربطناها بأرض الواقع جائت المرحلة المهمة والخطيرة ألا وهي تقنين الفقه ، وإذا كان التقنين الفقهي ضرورة حضارية ومطلباً مُلِحاً فإن عُودَه لا يزال طرياً وطريقه لا يزال حديث العهد على الرغم من كون بذور حركة التقنين بدأت منذ عهد الدولة العثمانية ومن أهم هذه الضوابط التي لا بد من مراعاتها عند الشروع في عملية التقنين "أن يكون العمل التقنيني عملا مبتكراً في ترتيب أبوابه ، وصوغ مواده ، واختيار عباراته ، بما يتناسب مع روح العصر ، ويتواكب مع معطيات الحضارة ، وينسجم مع لغة الواقع ، فإن التتابع في نقل مواد قانونية كتبت قبل أكثر من خمسين عاما مع تغيير طفيف لا يتعدى بعض العبارات التي تناسب مذهبا دون آخر ، أو مكانا دون سواه ، إنما هو في حقيقته يتنافى مع الغاية التي من أجلها نودي بتقنين الفقه ألا وهي إعادة صياغته بطريقة جديدة تساير ركب الحضارة المعاصرة([2]).

المبحث الثالث: التجديد في علم التفسير

لما كان التفسير هو المصدر الثالث لمعرفة الدعاة بعد القرآن والسنة فإنني رأيت أن أتناول التجديد فيه نظراً لما علق به من شوائب تستوجب تنقيته منها وهو الأمر الذي جعلني أعالج الموضوع علي النحو التالي :

مشروع تجديد التفسير، وذلك من خلال:

أ- محو ما علق بالتفسير من خرافات و إسرائيليات:

فقد علق بتفسير الكتاب العزيز على مر القرون وتوالي الأعوام، أوهام من فعل العقل البشري القاصر ، كما أن حرص عدد غير قليل من المفسرين علي حشد كل الروايات ، التي تقع تحت أيديهم ، دون تمحيص للسند ، أدي إلي تضخم كتب التفسير بالمرويات ، وهذه المرويات تحتاج إلي تمحيص وبحث وتنقيب ، فليس كل ماورد في

[1] -راجع: د جمال عطية ، د وهبة الزحيلي ، تجديد الفقه الإسلامي ، صـ٥٦ .

[2] -انظر: التقنين والتجديد في الفقه الإسلامي المعاصر ،الندوة السابعة ٢٠٠٨م: ندوة تطور العلوم الفقهية في عُمان ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بعمان ، http://www.mara.gov.om/nadwa_new

كتب التفسير يؤخذ دون معرفة حكمه ، أهو صحيح أم معلول بعلة تجعله متروكا ؛ فلابد من القيام بتحقيق هذه الكتب وتخريج أحاديثها ، والحكم علي كل منها بما يستحق.

نماذج مما يجب أن يغربل من المرويات:

ومعني غربلة هذه المرويات:ألا نتعرض لمثل هذه الأمور من الإسرائيليات والموضوعات والآراء الشاذة، وغيرها بالحذف والإزالة بل نتعرض لها بالتحقيق والإبانة ففكرة الإزالة لم يتطرق لها أحد من السادة العلماء القدامى وإنما افردوا في ذلك مؤلفات ليبينوا ويوضحوا هذه الأمور .

فإن في ترك هذه الأمور إفادة إذ من خلالها نستطيع أن نتعرف على شخصية المؤلف وأفكاره وكيفية استنباطه وربما نصل إلي فهم الواقع الذي يعيشه وينبغي أن يصاحب هذا الإبقاء في الكتاب نفسه التحقيق والإبانة خاصة فى أمهات الكتب التي يكثر تداولها بين الناس لاسيما وأن آليات التحقيق والإبانة مستطاعة أما آليات الحذف والإزالة فإنها غير مستطاعة.

والنموذج الأمثل على ما أذكره كتاب " إحياء علوم الدين " وهو من الأهمية بمكان فلم يتطرق أحد من العلماء ممن جاءوا بعده بالحذف لما فيه من أحاديث موضوعه، وإنما جاء " الحافظ العراقي " فخرج هذه الأحاديث في كتاب مستقل ثم قام من جاء بعده بوضعه في كتاب الإحياء وإخراجه في طبعة واحده ، فصار المشتغلون بالدعوة خصوصًا والناس عامة إذا أردوا أن يبحثوا عن طبعة لكتاب الإحياء اختاروا الطبعة المعلق عليها بتخريجات الحافظ العراقي.

*** دعوي واقعة (همت به وهم بها)**

ورد في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن من ذلك الروايات الباطلة المروية في تفسير قول الحق (هم بها) في سورة يوسف " أخرج عبد الرزاق، والفريابي وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما همت به تزينت، ثم استلقت على فراشها وهم بها جلس بين رجليها يحل تبانه نودي من السماء «يا ابن يعقوب، لا تكن كطائر ينتف ريشه فيبقى لا ريش له» فلم يتعظ على النداء شيئا، حتى رأى برهان ربه: جبريل عليه السلام في صورة يعقوب عاضًا على أصبعيه، ففزع فخرجت شهوته من أنامله، فوثب إلى الباب فوجده مغلقا، فرفع يوسف رجله فضرب بها الباب الأدنى فانفرج له، واتبعته فأدركته فوضعت يديها في قميصه فشقته حتى بلغت عضلة ساقه، فألفيا سيدها لدى الباب.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن هم يوسف عليه السلام ما بلغ؟ قال: حل الهميان - يعني السراويل - وجلس منها مجلس الخاتن، فصيح به، يا يوسف لا تكن كالطير له ريش، فإذا زنى

قعد ليس له ريش! وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في قوله: ولقد همت به وهم بها ، قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان من الطمع أن هم بحل التكة، فقامت إلى صنم مكلل بالدر واليواقيت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه، فقال: أي شيء تصنعين؟ فقالت: استحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة، فقال يوسف عليه السلام: تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب، ولا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت، ثم قال: لا تنالينها مني أبدا. وهو البرهان الذي رأى.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: لولا أن رأى برهان ربه، قال: تمثل له يعقوب عليه السلام فضرب في صدر يوسف فطارت شهوته من أطراف أنامله، فولد لكل ولد يعقوب اثنا عشر ذكرا غير يوسف لم يولد له إلا غلامان([1]).

وبعدما ذكر العلامة الشنقيطي عليه رحمة الله تلك الروايات علق عليها بقوله

"هذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين: قسم لم يثبت نقله عمن نقله عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه، وقسم ثبت عن بعض من ذكر، ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن المزاحم لليقين: أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات ، لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إليه صلى الله عليه وسلم وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ على القول في نبي الله يوسف بأنه جلس بين رجلي كافرة أجنبية ، يريد أن يزني بها ، اعتماداً على مثل هذه الروايات ، مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائح الكذب[2]"

ب - التزام المفسر بالرأي بالضوابط التالية:

- الالتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب ، وعدم تحميل الآيات أكثر مما تحتمله من حيث الصياغة اللغوية.
- استصحاب الصحيح من المأثور ليكون وسيلة معينة على الفهم ، وتنزيل النص على الواقع المعاش.
- التعرف على أسباب النزول لتكون وسيلة إيضاح معينة على الفهم ، وتنزيل النص على الواقع المعاش.
- التعرف على علم الناسخ والمنسوخ حتى لايفتي بحكم المنسوخ.

[1] -انظر: الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ٢١٢/٢ .
[2] - انظر: المرجع السابق،٢١٥/٢.

- عدم الخروج على قواعد الفهم ، والعقل السليم والمقاصد العامة التي حددت في القرآن علي أنها مسلمات ([1]).

جـ - تخليص التفسير من بدع التفاسير:

"وهو التفسير من غير تأهل له بالعلوم التي لابد منها للمفسر أو التفسير بالهوى والاستحسان أو التفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد ، والرأي الباطل ، أو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، وهذا اللون من التفسير كثيرًا ما يشتمل على المرويات الواهية والباطلة([2]).

وقد ذكر ابن تيمية أن أكثر ما يقع الانحراف في التفسير من جهتين:

الجهة الأولي : حين يعتقد قوم عقيدة ثم يحملون ألفاظ القرآن عليها.

الجهة الثانية: حين يفسر قوم القرآن بمقتضي اللسان العربي لكن من غير نظر إلي المتكلم بالقرآن ، ومن نزل عليه القرآن ، ومن خاطبهم القرآن.

فأصحاب الجهة الأولي: راعوا المعني الذي رأوه واعتقدوه من غير نظرإلي ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

وأصحاب الجهة الثانية: راعوا مجرد اللفظ ، وما يجوز أن يريد به عندهم العربي من غير نظر إلي ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام([3]).

والمتأمل للانحراف في كتب التفسير يجد أكثره ناشئ من الجهة الأولي ، حيث خَرج منها كل فرق الزيغ والضلال كالخوارج ، والروافض ، والجهمية ، والمعتزلة ، والقدرية ، والمرجئة وغيرهم.

هكذا نري أن علم التفسير دخله من الانحراف والفساد الشئ الكثير ، ويلخص ذلك الشيخ محمد رشيد رضا بقوله " كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية ، والهداية السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ، ونكت المعاني ومصطلحات البيان ، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين، واستنباط الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها علي بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات([4]).

---

[1] -انظر: د-عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي،صـ٢١٧.

[2] -انظر: محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ،صـ٨٢ .

[3] -انظر:ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير،صـ ٣٣.

[4] - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،٨/١.

نماذج من تلك البدع التفسيرية:

ما ذكره صاحب الكشاف في تفسير قول الله تعالي (إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)([1]) ، فقد روي عن الحسن البصري أن (صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا) سوداء شديدة السواد([2]).

وقد ذكر صاحب فتح القدير علي أن هذا التفسير من بدع التفاسير ، وفي هذا يقول: "وروي عن الحسن أن صفراء معناه سوداء، وهذا من بدع التفاسير ومنكراتها، وليت شعري كيف يصدق على اللون الأسود الذي هو أقبح الألوان أنه يسر الناظرين، وكيف يصح وصفه بالفقوع الذي يعلم كل من يعرف لغة العرب أنه لا يجري على الأسود بوجه من الوجوه فإنهم يقولون في وصف الأسود: حالك وحلكوك ودجوجي وغرابيب([3]).

ومن خلال ما ذُكر من بعض النماذج البدعية في تفسير القرآن الكريم فمن الضروري بمكان "أن تفرغ دراسة خاصة للتصدي لما يسمي ببدع التفاسير ، تتعرف أصولها ومصادرها وتحكم عليها في ضوء التفسير بالمأثور ، ومدي انتهاكها لحدود دلالات الألفاظ ، مع مراعاة أن البيان القرآني وحدة متكاملة ونسيج محكم البناء ، ونحن بذلك لا نريد أن نطمس معالم هذا الفن في كتب التفسير فحسب وإنما نريد أن نمحو من التفاسير هذا الغثاء ، الذي لا شئ تحته ولا خير يرجي منه ، البدعة التفسيرية ما سميت بدعة إلا لطرافتها ، ومخاصمتها للمعني الواضح الجلي([4]).

د ـ **الاستفادة من الكسب العلمي والحقائق المعرفية في ميادين الحياة كلها:**

"فلو أننا تتبعنا رحلة المفسرين حسب العصور، نري أن علماء كل عصر، من خلال معارفهم وكسبهم العلمي ، عندما ينظرون في القرآن يعودون بمردود إضافي متوافق مع آفاقهم العلمية والحضارية، ولو أخذنا نماذج من المفسرين من كل عصر، لوجدنا أنه أضيفت معان للرأي من خلال كسب البشر، والتقدم العلمي([5]).

ضوابط الحديث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

"أولها : أن الباحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم يجب أن يكون متثبتا ؛ لأنّ القرآن ليس كتاب كيمياء أو أحياء أو فيزياء، ولكنه كما قلنا كتاب هداية، هذا هو الأصل في القرآن.

ثانيها: الإعجاز العلمي يحتاج إلى باحثين يجمعون بين متطلبات التخصص العلمي ومتطلبات التفسير ، وهذا التخصص نادر ، فإذا ما رأينا فقيها يتحدث عن العلم ، والسبق العلمي للقرآن ، فلاشك أنه سوف تعترينا الدهشة ؛ لأننا نعلم يقينا أنّ الشيخ

---

[1] ـ سورة البقرة ، الآية رقم ٦٩.

[2] ـانظر:الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،١٥٠/١.

[3] ـ انظر: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني ، فتح القدير ، ١١٥/١ .

[4] ـ انظر:د- محمد حسانين حسن حسانين ، تجديد الدين مفهومه ، وضوابطه ، وآثاره ،صـ٣١٩.

[5] ـ انظر: الشيخ محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، ، صـ٢٠٦.

المتحدث ، لا يفرق بين الذرة بمفهومها العلمي، والذرة بمفهومها اللغوي فكيف يتصدى للمعضلات العلمية فالتفسير العلمي يحتاج مفسرا ذ ا ملكات خاصة.

وثالثها: لا يفسر من القرآن تفسيرًا علمياً إلا الآيات التي تتحدث عن موضوعات علمية ذلك فإننا حينما نفسرها في ضوء الحقائق العلمية المستقرة ، بدون تعسف نكون قد فسرناها التفسير اللائق بها، ومن هذا النوع تفسير الآيات التي تتحدث عن الظلمات الثلاث ، التي تمثل أطوار الجنين أو تفسير عدم إدراك الشمس للقمر، أما أن نبحث تحت كل آية عن حقيقة علمية فإن هذا تعسف يسيء إلى القرآن على المدى البعيد.

ورابعها :أن يكون التفسير من خلال الحقائق العلمية الثابتة ، التي لا تقبل الشك ، ومن ذلك أنّ الشيخ طنطاوي جوهر ي- رحمه الله - ذهب إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل ، الذي ذبحوا من أجله البقرة ليضربوه ببعضها، يرمز إلى استحضار الأرواح !!وهو علم ظهر بأمريكا أولاً، ثم بأوروبا ثانياً. ونحن لا نعلم على وجه الدقة هل تحضير الأرواح علم ؟ كما أن ما حدث في قصة بني إسرائيل لم يكن تحضيرا للأرواح ، وإنما إحياء للموتى بإذن الله ، فهل ظهر في أوروبا وأمريكا على عهد الشيخ طنطاوي المتوفى سنة ١٩٤٠ م دجالون يحيون الموتى؟.

إنّ هذا ما نخشاه من التفسير العلمي ، أن يتصدى له مشايخ يجهلون حقيقة ما يتحدثون عنه فتزل قدم ، ويساء لكتاب الله ، ولذلك إذا كانت الحقيقة العلمية واضحة ، لا تقبل الشك ، وكانت من الوضوح بمكان ، فعندئذ يجوز للمفسر أن يشير إليها.

وخامسها :ألا تطغى تلك المباحث على المقصد الأول من القرآن ، وهو الهداية، حتى لا نخالف هدي السلف في التفسير ، قال الشاطبي" :إنَّ كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح ، وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدّعى سوى ما تقدم ، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة ، وما يلي ذلك ، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر ؛ لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ؛ إلا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، والواضح أن الذي أثار الشاطبي ليس التفسير العلمي في حد ذاته ، وإنما تجاوز الحد في ذلك.

وسادسها :أن يكون التفسير العلمي من قبيل توسيع مدلول الآية ، لا على أنه التفسير الذي لا يدل النص على سواه"[1].

هـ - تبيان المقاصد الأساسية للقرآن:

[1] -انظر: د- محمد حسانين حسن حسانين ، تجديد الدين مفهومه ، وضوابطه ، وآثاره ،صـ٣٥٢- ٣٥٣.

ومن معالم التجديد : أن يبتعث المفسر المقاصد الأساسية للقرآن ، تلك المقاصد التي ربما غاصت تحت وطأة قواعد النحو والبلاغة والإسرائيليات والإشارات ...إلخ وقد بذل العلامة محمد الطاهر بن عاشور جهودًا منصفة في الإشارة لهذه المقاصد ، ورتبها على النحو التالي:([1]).

الأول: إصلاح الاعتقاد.

فهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق ، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل ، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، ولذلك يجب أن يتضمن منهج تأهيل الدعاة مادة العقيدة، فيدرس الطالب فيها أسسها كما وردت في القرآن الكريم، ثم اختلاف العلماء في شرح تعبيرات القرآن الكريم عن جوانبها ومدلولاتها وهذا يقوده إلي دراسة علم الكلام ، وكيف أدي هذا إلي ظهور مذاهب شتي ، وفرق متنوعه([2]).

ومن نماذج تلك الآيات التي استخدمت المنهج العقلي في اصلاح الاعتقاد قوله تعالي: { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ .أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ . أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ([3]).

٢- تهذيب الأخلاق

القرآن الكريم في جملته وتفصيله إرشاد وتوجيه لما يجب أن يكون عليه الإنسان، ومن ذلك قوله تعالى:(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}([4])

فانظر ما في هذه الآية من الحض على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل، وقال تعالى:{ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

[1] - انظر:محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ،١/٤٠-٤١ .
[2] - انظر : أ.د / محمد شامة ، الخطاب الديني المفتري عليه / شامة صـ٢٩٤- ٢٩٥
[3] - سورة النمل الآيات٦٠- ٦٤.
[4] - سورة البقرة ، الاية رقم ٢٣٧.

شَدِيدُ الْعِقَابِ}([1]) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

٣- التشريع

التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة. قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}([2])، {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}([3])، ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب، وجزئيا في المهم، فقوله: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}([4]) ، وقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا[5]) المراد بهما! إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس، قال الشاطبي: لأنه على اختصاره جامع والشريعة تمت بتمامه ولا يكون جامعًا لتمام الدين إلا والمجموع فيه أمور كلية.

٤- سياسة الأمة

سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}([6]) وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(٧) وقوله: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}([8]) وقوله{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}([9]) .

٥- التأسي بالقصص وأخبار الأمم السابقة

القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم قال: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}([10]) {أُولَئِكَ الَّذِينَ

[1] - سورة المائدة ، الآية رقم ٢.
[2] - سورة النساء، الآية رقم ١٠٥
[3] - سورة المائدة، الآية رقم٤٨
[4] - سورة النحل ، الآية رقم ٨٩
[5] - سورة المائدة ، الآية رقم ٣.
[6] - سورة آل عمران ، الآية رقم ١٠٣.
[7] - سورة الأنعام ، الآية رقم ١٥٩.
[8] - سورة الأنفال ، الآية رقم ٤٦.
[9] - سورة الشوري ، الآية رقم ٣٨
[10] - سورة يوسف ، الآية رقم ٣.

هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}([1]) وللتحذير وللتحذير من مساويهم قال: {وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ}([2]).

٦- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين

التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}([3])، وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العلم، وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفرادا اختصوا بفرط ذكاء تضم إليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرآن بقوله: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}([4]) ،{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}([5]) وقال:{ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}([6]) فنبه إلى مزية الكتابة.

٧- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير

المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

٨- الإعجاز بالقرآن

الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه: {قل فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}([7]) ولمعرفة أسباب النزول مدخل في ظهور مقتضى مقتضى الحال ووضوحه. هذا ما بلغ إليه استقرائي وللغزالي في «إحياء علوم» الدين بعض من ذلك[8]".

ويمكننا أن نتوسع في مسألة المقاصد هذه بحيث نجعل لكل آية مقصد ، ولكننا إذا أمعنا النظر سنجد أن فاتحة الكتاب قد جمعت مقاصد القرآن الكريم من التعريف بالخالق (رب العالمين ، الرحمن الرحيم) ، والإيمان بالغيبيات (يوم الدين وما فيه من حساب

[1] - سورة الأنعام ، الآية رقم ٩٠.
[2] - سورة إبراهيم ، الآية رقم ٤٥.
[3] - سورة البقرة ، الاية رقم ٢٦٩.
[4] - سورة العنكبوت، الآية رقم٤٣
[5] - سورة الزمر ، الآية رقم ٩.
[6] - سورة القلم ، الآية رقم ١.
[7] - سورة يونس ، الآية رقم ٣٨.
[8] - راجع: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ،١/٤٠-٤١، بتصرف .

وجنة ونار وصراط وميزان .....) تأدية العبادات والتعريف بالشريعة (إياك نعبد) ، قصص الذين أطاعوا الله ففازوا والذين عصوا الله فهلكوا (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ[1]) وهذه المقاصد يجمعها كلها مقصد الهداية التي قال عنها الله{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}([2]) عن هذا المقصد بقوله {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}([3]) ، فالمقام الأسمى من التفسير يكمن في هداية الناس إلى دين الإسلام، وتعريفهم به ، وتعبيدهم لله رب العالمين. وهذا المقصد الشامل يجب ألا يغيب عن عين المفسر ، ولو للحظة واحدة ، فالقرآن ليس كتاب نحو أو بلاغة أو فلسفة أو كيمياء ، وإنما كتاب هداية للعالمين ، ولذلك فمن أوجب واجبات المفسر الذي يفسر لأمة من الأمم أو جماعة من الجماعات ، أن يغير بهذا القرآن المنكرات ، ويدعو إلى المكرمات ، فيُغِير على الأوهام العالقة بأذهان الجماعة المخاطبة بالقرآن ، فيبددها، ويمحو كل ما علق بالتفسير من هنات وخيانات كثرت في الأوان الأخير.

وهكذا نجد أن المفسر يستنفد جهده ، كلما أمكنه ذلك، في بيان هداية القرآن ، وعلى المفسر ألا ينشغل بالقضايا النحوية والبلاغية في الآية على حساب المقصد من الآية ، ويتحتم عليه أن يقدم هداية الآية أو يؤخرها ، المهم أن تكون مستقلة عن القضايا النحوية والبلاغية والفقهية ، ويفضل أن يخصها بعنوان جانبي.

وهكذا نجد أن الآيات تُشرح، والقصص تُسرد دون التركيز على هداية الآية ، فكم من مفسر تعرض لقول الله عز وجل{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}([4]) ولم يتعرض يتعرض لهدايتها، وإنما وقف عند (حاد الله ورسوله) فقال أي(عادى الله ورسوله)(وربما وقف غيره عند (يوادون) ففسر معناها :بقوله (يحبون ويوالون) كما أن من المفسرين من انشغل بالبحث عن المفعول الثاني لـ (تجد) وأمام هذا كله تصبح مطالبة المفسر بالوقوف على هداية الآية مطلبا ضروريا([5]).

وفي النهاية أقول إن الأمة الإسلامية في حاجة إلي علوم واقعنا المعاصر بجانب التفاسير الصحيحة إلي تفسير يكون مرجعا علميا موثوقا به يتحدث بلغة العصر و يكون بعيدا عن الأوهام والأباطيل الموجودة في بعض كتب التفسير يترجم إلي اللغات الأخرى ويتداوله طلاب العلم فيتخرج علماء المسلمين وأساسهم متين وعلمهم صحيح ، فيبلغوا ماكلفوا به من الرسالة علي وجهها الصحيح، ويؤتوا ثمارها علي أفضل

[1] - سورة الفاتحة ، الآية رقم ٧ .
[2] - سورة البقرة ، الآية رقم ٢.
[3] - - سورة الأعراف ، الآية رقم ٥٢.
[4] - سورة المجادلة ، الآية رقم ٢٢.
[5] - انظر:د- محمد حسانين حسن حسانين ، تجديد الدين مفهومه ، وضوابطه ، وآثاره ،صـ٣٤٧-٣٤٨.

وجه. فيصل العلم والدين إلي الناس خالصين من الشوائب ، وبعيدا عن الفتن والضلال.

المبحث الثالث: التجديد في السنة النبوية

أولا: تعريف السنة

السنة في اللغة : الطريقة ، والسيرة : حسنة كانت أم سيئة[١] وتطلق السنة في اللغة علي عدة معان منها:

ما يدل علي الصقالة والملامسة ، ومن ذلك إطلاقها علي الوجه أو دائرته ، أو صورته كذلك ترد السنة بمعني السيرة المستمرة ، والطريقة المستقيمة ، سواء حسنة كانت أم سيئة([٢]).

وبهذا الإطلاق اللغوي جاءت كلمة السنة في القرآن الكريم ، قال تعالي{ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا}([٣]) وقال تعالي {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا}([٤]).

كما جاءت أيضا في السنة النبوية بهذا المعني ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء)([٥])، وقال صلي الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ...)([٦]).

وخصها بعض أهل اللغة بالطريقة المستقيمة الحسنة دون غيرها ، ولذلك قيل فلان من أهل السنة([٧]) والحق هو ماعليه جمهور أهل اللغة.

تعريف السنة في الاصطلاح:

الذي يعنينا هنا تعريف المحدثين القائل " السنة كل ما نقل عن النبي صلي الله عليه وسلم من قول أو فعل أو إقرار (تقرير) أو صفة خلقية أو صفة خُلقية حتى الحركات والسكنات فى اليقظة والمنام قبل البعثة أو بعدها "([٨])

والسنة وإن كان المنشئ لألفاظها رسول الله صلي الله عليه وسلم، إلا أن معانيها وحي من الله تعالي ، قال تعالي: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}([٩]) وإذا

---

[١] - انظر:ابن منظور، لسان العرب ٢٢٤/١٣.

[٢] - انظر: ابن منظور ، لسان العرب، ٢٢٥/١٣ ، إبراهيم أنيس وآخرون . المعجم الوسيط ١/ ٤٥٦

[٣] - سورة الإسراء الآية رقم٧٧.

[٤] - سورة الإسراء ، الآية رقم ٥٥.

[٥] - أخرجه مسلم، كتاب الزكاة ، باب الحث علي الصدقة ولو بشق تمرة ٦٨/٣ ، رقم ٢٣٩٨.

[٦] - أخرجه البخاري ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ٣/ ١٢٧٤، رقم ٣٢٦٩ .

[٧] -انظر: ابن منظور ، لسان العرب ١٣ /٢٢٥ ، ، إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ١/ ٤٤٥.

[٨] - د- الأحمدي أبو النور ، شذرات من علوم السنة ، ١/ ٤٤.

[٩] - سورة النجم ، الآيات ٣- ٤.

كانت السنة وحيا من الله ، فهي محفوظة بحفظ الله كما قال سبحانه{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}([1]).

ثانيا: مظاهر الإيجاب في السنة النبوية

أ- سعة السنة لكل جوانب الحياة:

إن الناظر في السنة النبوية يري أن رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ترك شيئا يهم الأمة إلا وتحدث فيه ولا أبالغ إن قلت بأن أهمية الحديث النبوي تأتي في غير ذلك من العلوم بأنها مصدر لكثير من المعرفة فقد بين النبي صلي الله عليه وسلم جميع أحكام الحياة والموت فلقد"توفى رسول الله صلي الله عليه وسلم - وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علما وعلمهم كل شئ حتى أداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب والركوب والنزول والسفر والإقامة والصمت والكلام والعزلة والخلطة والغنى والفقر والصحة والمرض وجميع أحكام الحياة والموت ووصف لهم العرش والكرسي والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأى عين وعرفهم معبودهم والههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله وعرفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرفه نبي لامته قبله وعرفهم صلي الله عليه وسلم - من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره وكذلك عرفهم صلي الله عليه وسلم - أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده اللهم إلا إلى من يبلغه إياه ويبينه ويوضح منه ما خفى عليه وكذلك عرفهم - صلي الله عليه وسلم - من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدو أبدا وكذلك عرفهم صلي الله عليه وسلم - من مكايد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيده ومكره وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه وكذلك عرفهم صلي الله عليه وسلم - من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكمائنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه وكذلك عرفهم صلي الله عليه وسلم - من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة ، وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم الله إلى احد سواه فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها([2]).

[1] - سورة الحجر ، الآية رقم ٩.

[2] - انظر: ابن القيم ،إعلام الموقعين عن رب العالمين ،٤/٣٧٥-٣٧٦ .

ب- جاذبة للأنظار قديماً وحديثا:

وقد بلغ من سموا السنة المطهرة ،" أنها جذبت أنظار أعداء الإسلام إليها قديماً وحديثاً ، فراحوا يراقبونها وما جاءت به معترفين بشموليتها لكل أمور الحياة ، وأنها مفتاح نهضة المسلمين وحضارتهم ، وهى فوق كل هذا الهيكل الحديدى الذى قام عليه صرح الإسلام ، والعمل بها حفظ لكيان الإسلام وتقدمه ، وتركها هدم لدين الإسلام وتأخر المسلمين ، فها هو ذا مشرك ينطق بشمول السنة لكل أمور الحياة، معترفاً على نفسه ومن على شاكلته ، بأنهم يحرصون على معرفة تعاليم السنة"([1])٠

فعن سلمان أنه قيل له : "قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة؟ قال : قال : أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجى باليمين أو أن نستبخى بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجى برجيع أو بعظم([2])".

بل"لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلال الحاضر؟ إن العمل بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه ، وأن ترك السنة هو انحلال الإسلام٠ لقد كانت السنة هى الهيكل الحديدى الذى قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما ، أفيدهشك بعد أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟ ... إن التعبير الذى يتردد على مسامعنا اليوم كثيراً "لنرجع إلى القرآن الكريم ، ولكن يجب ألا نجعل من أنفسنا مستعبدين للسنة" هذا التعبير يكشف بكل بساطة عن جهل بالإسلام، إن الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلاً يريد أن يدخل قصراً ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلى الذى يستطيع به وحده أن يفتح الباب([3])"

جـ -هادية في التشريع وإنسانية في المضمون:

وهذا واضح وجل في جميع جوانب الحياة ففي الحياة الاجتماعية ، نجد أسس بناء الأسرة وما يتعلق بها من أحكام ، كما نجد ما ينظم العلاقات الاجتماعية بين مكونات المجتمع ويعزز الروابط بين أبنائه ، ويحدد دور كل فرد ، ومسؤولياته ، وحقوقه وواجباته ،ونظام التكافل الاجتماعي الذي يشمل كل المجتمع ، وكذلك في الحياة السياسية والاقتصادية كما يمكن أن نتحدث ولا حرج ، في اهتمام السنة بالجانب التربوي والتزكية والتوجهي .

ثالثا: جوانب السلب في التعامل مع السنة النبوية:

١- القراءة المتجزأة للحديث النبوي ويتمثل في المظاهر التالية:

المظهر الأول: القراءة الانتقائية

[1] - انظر: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، ١٧٤/١.

[2] - أخرجه مسلم في صحيحه ، باب الاستطابة ، ١٥٤/١ ، رقم ٦٢٩.

[3] - انظر: الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمة الدكتور عمر فروخ صـ ٨٧- ٩١ ٠

يقوم هذا المنهج على: قراءة نص من السنة وإغفال آخر، أو قراءة بعض الأحاديث وإغفال البعض الآخر، مع استمداد الحكم الشرعي وتعميمه بناء على تلك القراءة المجتزأة والانتقائية ، وإهمال دلالة السياق الموضوعي أو البلاغي أو النحوي أو المقصدي ، وقلة الاهتمام بأسباب ورود الحديث ، واتباع المتشابهات من السنن وإهمال ردها إلى المحكمات ، وعدم التمييز بين السنة التشريعية وغير التشريعية ، وغير ذلك من سمات وخصائص هذا الاتجاه.

وقد كان لهذا المنهج التجزيئي تداعيات وآثار خطيرة على سداد الاستمداد من السنة وعلى واقع الأمة ، بل على ظهور اتجاه آخر يدعو إلى نبذ السنة مطلقا ، والاستغناء عنها بالقرآن الكريم وحده مصدرا للتشريع ، والتشكيك في صحة ثبوت الأحاديث النبوية.

لذا فقد عني المحدثون بجمع المتابعات والشواهد للحديث الواحد، وعنوا بالمقارنة بين متون الأحاديث وما حصل بينها من الاختلاف والزيادة والنقصان باختلاف رواتها.يقول الإمام أحمد:"الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفَسر بعضه بعضاً([1])"

ومن أبرز مظاهر التجزيء والإنتقاء في هذا الباب حديث إسبال الإزار:

الأحاديث التي وردت في إسبال الإزار، وتشديد الوعيد عليه ، وهو ما استند إليه كثير من هؤلاء الشباب المتحمس في شدة الإنكار على من لم يقصر ثوبه إلى ما فوق الكعبين والأحاديث التي أخذوا بها في هذا الباب كثيرة ، ولكن الحديث الدال على المراد هو حديث آدم ، حدثنا شعبة، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»([2]).

أخذوا بهذا الحديث وما ورد في معناه ، وتركوا جملة الأحاديث الأخرى الواردة في هذا الموضوع ، التي يتبين لمن يقرأها ما رجحه الإمام النووي ، والحافظ ابن حجر ، وحافظ المغرب ابن عبد البر، وغيرهم : أن هذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد "الخُيَلاء"؛ فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق([3]).

ومن الأحاديث التي وردت بهذا القيد

ما رواه البخاري في "باب من جر إزاره من غير خيلاء" حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» قال أبو

[1] - انظر:الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ،٢١٢/٢.

[2] - أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب "ما أسفل من الكعبين فهو في النار" ٢١٨٢/٥ ،رقم ٥٤٥٠.

[3] - راجع: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٢٥٧/١٠.

بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لست ممن يصنعه خيلاء([1])»

وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال « لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء ([2])" .

هذه الأحاديث وغيرها، لو ضُم بعضها إلى بعض؛ لتبين أن الإطلاق في الزجر الوارد في ذم الإسبال محمول على المقيد هنا، فلا يحرم الجر والإسبال إذا سلم من الخيلاء، ذلك لأن الأحاديث الواردة في الزجر عن الإسبال مطلقة، فيجب تقييدها بالإسبال للخيلاء.

وهكذا يتبين أنه لابد للاستمداد من السنة استمدادا صحيحا، وفهمها فهما سليما: أن تُجمع الأحاديث الصحيحة في الموضوع الواحد، بحيث يُرَدُّ متشابهها إلى محكمها، ويحمل مطلقها على مقيدها، ويفسر عامها بخاصها؛ ومجملها بمبينها.

المظهر الثاني: إهمال مراعاة السياق وأسباب ورود الحديث وقلة العناية بملابسات وأسباب ذكر النص.

فإن للسياق أهمية كبيرة في فهم السنة وهو مما يعين علي فهم الحديث وألفاظها، "فالسياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته([3])"

وقد نَبه الشافعي([4]) على أهمية هذا الضابط في فهمه للسنة خصوصا ، أو للنصوص الشرعية عموما، فقد بوب الشافعي في الرسالة بقوله :"باب الصنف الذي يبين سياقه معناه([5])"

يقول العلامة ابن حمزة الحسيني الدمشقي[6]، في بيان أهمية هذا العلم: " وأن من أجل أنواع علوم الحديث معرفة الأسباب. وقد ألف فيها أبو حفص العكبري كتابا وذكر

---

[1] - رواه البخاري ، باب من جر إزاره من غير خيلاء، رقم: ٥٤٤٧ ، ٥/ ٢١٨١

[2] - أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب،٦/ ١٤٦ ، رقم ٥٥٧٤.

[3] - انظر:ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، ٩/٤.

[4] - محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة.وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. قال المبرد: كان الشافعيّ أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقرآت. وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منه. برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيا مفرطا. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه، و (المسند) في الحديث، و (أحكام القرآن) و (السنن) و (الرسالة) في أصول الفقه، توفي عام ٢٠٤هـ. انظر الأعلام ٢٦/٦.

[5] - انظر: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس ،الرسالة ،٦٢/١ .

[6] -محدث نحوي، من صدور دمشق. ولد بها وتعلم وولي بعض الأعمال وسافر الى مصر، فأخذ عن علمائها، وسافر إلى الروم وولي نقابة الأشراف بمصر عام ١٠٩٣ ثم النقابة بدمشق مرات. وبلغ عدد شيوخه ثمانين شيخا. وتوفي قافلا من

الحافظ ابن حجر أنه وقف منه على انتخاب. ولما لم أظفر في عصرنا بمؤلف مفرد في هذا الباب، غير أوائل تأليف شرع فيه الحافظ السيوطي ورتبه على الأبواب. فذكر فيه نحو مائة حديث واخترمته المنية قبل اتمام الكتاب سنح لي أن أجمع في ذلك كتابا تقر به عيون الطلاب. فرتبته على الحروف والسنن المعروف. وأضعت له تتمات تمس الحاجة إليها وتحقيقات يعول عليها. وسميته " البيان والتعريف في أسباب الحديث الشريف " وجعلته خدمة لحضرة الحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم ووسيلة لشفاعته يوم الحسرة والندم. ومن الله سبحانه. أرجو التوفيق والإعانة([1])".

ومثاله أحاديث النهي عن ادخار لحوم الأضاحي، منها حديث ابن عمر عن النبى - صلى الله عليه وسلم- أنه قال « لا يأكل أحد من لحم أضحيته فوق ثلاثة أيام ([2])».، فهذا الحديث وما في معناه كان لعلة مخصوصة من أجلها ورد النهي ، وهي وفود المهاجرين التي وفدت على المدينة ، فكان في ادخار لحوم الأضاحي وإمساكها عنهم تضييقا عليهم ، ثم نسخ ذلك وصار الأمر إلى الإباحة ، بدليل ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث إسحاق بن إبراهيم الحنظلى أخبرنا روح حدثنا مالك عن عبد الله بن أبى بكر عن عبد الله بن واقد قال نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث. قال عبد الله بن أبى بكر فذكرت ذلك لعمرة فقالت صدق سمعت عائشة تقول دف أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقى ». فلما كان بعد ذلك قالوا يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون منها الودك فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « وما ذاك ». قالوا نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث. فقال « إنما نهيتكم من أجل الدافة التى دفت فكلوا وادخروا وتصدقوا([3])»

المظهر الثالث: الجمود علي ظواهر النصوص والفصل بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية للأحاديث النبوية

الاهتداء بالمقاصد في الاستمداد من السنة النبوية أساس لمن يريد حسن الفهم للنص الشرعي ، وأن لا يكتفي بالوقوف عند حرفية النصوص ، ويجمد على ظواهرها، ولا يتأمل فيما وراء أحكامها من علل ، وما تهدف إليه من مقاصد ، وما تسعى إلى تحقيقه من مصالح.

الحج بمنزلة تسمى ذات الحج ودفن بها. له كتب، منها (البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف - ط) جزآن، على حروف المعجم، و (حاشية على شرح الألفية لابن المصنف) لم تكمل .الأعلام ،٦٨/١.

[1] - انظر:ابن حَمْزَة الحُسَيْني الحنفي الدمشقيّ ،البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، ٢/١.

[2] - أخرجه مسلم في صحيحه ، باب بيان ما كان من النهى عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث فى أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء ٨٠/٦ ، رقم ٥٢١٢

[3] - أخرجه مسلم في صحيحه ، باب بيان ما كان من النهى عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث فى أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء ٨٠/٦ ، رقم ٥٢١٥.

يقول الإمام الشاطبي([1]): "إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا([2])"، وعَقَدَ ابن القيم فصلا ممتعا في "إعلام الموقعين" في "تَغَيُّر الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" ، حيث قال وما أجود ما قال"هذا فصل عظيم النفع جدا ، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم في الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة، وتكليف ما لا سبيل إليه ، ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به ، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها ، ورحمة كلها، ومصالح كلها ، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل([3])"

ولعل الغفلة عن هذا الباب العظيم ، أدت ببعض المشتغلين بالحديث من المعاصرين إلى ظاهرية مفرطة، جردت النصوص من مقاصدها الكلية ومن أبرز الأمثلة على ذلك في زماننا.

***أحاديث إخراج زكاة الفطر**

فلقد تشدد هذا الاتجاه الحرفي ، ومعهم بعض متعصبة المذاهب من المتأخرين ، في الإصرار على إخراج زكاة الفطر من الأطعمة ، ورفض إخراجها بقيمتها نقدا رفضا مطلقا ، وينادون في الناس كل عام في أواخر رمضان: أن من أخرج زكاة الفطر نقودا فزكاته باطلة ، لأنها خلافُ السنة ، وعليه أن يعيد إخراجها ثانية من الطعام حتى تُقبل.

وحُجتهم في ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمررضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير على كل حر، أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين...([4])»

فوقف القوم عند ظاهر النص ؛ عند ما عَيَّنَه من أصناف الأطعمة مما هو غالب قوت البلد ، ولم يلتفتوا إلى المقصد الشرعي من الحديث وهو "إغناء المساكين" يوم العيد ،

---

[1] - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات في أصول الفقه - ط) أربع مجلدات، و (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، و (الافادت والانشادات) رسالة في الأدب، نشرت نبذة منها في مجلة المقتبس (المجلد الثامن) و (الاتفاق في علم الاشتقاق) و (أصول النحو) و (الاعتصام - ط) في أصول الفقه، ثلاث مجلدات، و (شرح الألفية) سماه (المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية - خ) خمسة مجلدات ضخام، كتبت سنة ٨٦٢ والنسخة نفيسة، في خزانة الرباط قال التنبكتي: لم يؤلف عليها - أي على الخلاصة المعروفة بالألفية - مثله، بحثا وتحقيقا، فيما أعلم، توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر الأعلام : مرجع سابق.

[2] - انظر : الشاطبي ، الموافقات ،٩/٢ .

[3] - انظر: ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين،١١/٣ .

[4] - أخرجه البخاري في صحيحه ، باب فرض صدقة الفطر ، رقم ١٤٣٢ ، ٥٤٧/٢ .

الذي يدل عليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: " في رواية للبيهقي: "أَغنوهم عن طواف هذا اليوم([1])".

وهذا الحديث وإن كان في إسناده ضعف([2])؛ فإن معناه صحيح في بيان المقصود من هذه العبادة المالية ، وهو إغناء المسكين في هذا اليوم السعيد ، وإدخال الفرح والسرور عليهم وليس المقصود نوعا أو أنواعا معينة بذاتها من الأموال.

فينبغي النظر إلى العلة والحكمة والغاية من إيجابها ، والتمييز بين الوسائل والمقاصد ذلك أن زكاة الفطر ليست عبادة مالية محضة وتوقيفية لا دخل للعقل فيها، وإنما هي عبادة مالية من أصلها معقولة المعنى مثل زكاة الأموال، ويجب عند الاشتباه النظر إلى ما هو أنفع للفقير، أو أيسر على المكلف([3]).

وإخراج القيمة نقدا، في عصرنا، هو الأيسر على المعطي، والأنفع للآخذ، ولهذا وجدنا الأئمة المتبوعين من الفقهاء المجتهدين؛ لما زاد مجتمعهم توسعا وتعقدا؛ لم يقفوا عند الأطعمة المنصوص عليها في الحديث، بل قاسوا عليها ما هو غالب قوت البلد.

بل زاد بعضهم فأجاز إخراج القيمة ، لاسيما إذا كانت أنفع للفقير، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه، ومذهب الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وقد صح هذا عن الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيَّب وعروة بن الزبير وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن جبير من التابعين، كما صح عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز([4]).

فتبين بذلك أن نص الحديث معَلَّل "بالإغناء، والإغناء يحصل بالقيمة، بل أتم وأوفر وأيسر؛ لأنها أقرب إلى دفع حاجة الفقير؛ إذ تمكنه من شراء ما يلزمه من الأطعمة والملابس مما هو أحوج إليه، وخصوصا في عصرنا، وفي هذا رعاية لمقصود النص النبوي، وتطبيق لروحه ، وهذا هو الفقه الرشيد ، الذي يربط النصوص الجزئية بمقاصدها الكلية([5])".

٢ـ توظيف السنة لخدمة جماعة أو طائفة قبولا ورفضا :

ومن مظاهر هذا التوظيف

المظهر الأول: فهم الحديث النبوي بمنظور الالتزام المذهبي والتعصب لهذا الفهم

للتعصب أثر واضح في الانحراف الواقع في فهم الحديث، حيث أنه قد يدفع البعض إلى التمسُّك بالأقوال الضعيفة في المذهب، ونصرتها ولو بالحديث الضعيف، وهو في

---

[1] ـ انظر:البيهقي، سنن البيهقي الكبرى ،كتاب الزكاة ، باب وقت إخراج زكاة الفطر، ١٧٥/٤.

[2] ـانظر: أحمد بن حجر العسقلاني ، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ١٨٠/١ .

[3] ـانظر: مصطفى الزرقا، العقل والفقه في فهم الحديث النبوي، صـ ٥٨ـ٥٩ .

[4] ـ انظر:ابن حزم، المحلى ، ١٣٠/٦ـ١٣١.

[5] ـانظر توفيق الغلبزوري ، مناهج الاستمداد من السنة النبوية بين التجزيء والنسقية ، مجلة الإحياء تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء – المملكة المغربية

المقابل يُضَعِّف الصحيح الثابت من الأحاديث، وهذا لعمري انحرافٌ خطير ينبغي التنبيه عليه ، ومن طرائف المتعصبين ماذكره الإمام القرطبي[1] رحمه الله قال"ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه وهو مذهب مالك و الشافعي ويفعله الشيعة فحضر عندي يوما في محرس ابن الشواء بالثغر - موضع تدريسي - عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم إلى الصف وأنا في مؤخرة قاعدا على طاقات البحر أتنسم الريح من شدة الحر و معي في صف واحد أبو ثمنة رئيس البحر وقائده مع نفر من أصحابه ينتظر الصلاة ويتطلع على مراكب تحت الميناء فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه قال أبو ثمنة وأصحابه : ألا ترون إلى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا ؟ فقوموا إليه فاقتلوه وارموا به إلى البحر فلا يراكم أحد فطار قلبي من بين جوانحي وقلت : سبحان الله هذا الطرطوشي فقيه الوقت فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؟ فقلت : كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل وهذا مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه وجعلت أسكنهم وأسكتهم حتى فرغ من صلاته وقمت معه إلى المسكن من المحرس ورأى تغير وجهي فأنكره وسألني فأعلمته فضحك وقال : ومن أين لي أن أقتل على سنة ؟ فقلت له : ولا يحل لك هذا فإنك بين قوم إن قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك فقال : دع هذا الكلام وخذ في غيره([2])".

وأري أن هناك أسباب كثيرة تأخذ بالإنسان إلي مثل هذا المنحني الخطير وقد تجتمع تلك الأسباب وقد تفترق ومن أهمها :

"**الأول** : أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين ـ ولم يبلغ تلك الدرجة ـ فيعمل على ذلك، ويعد رأيه رأيا وخلافه خلافا، ولكن تارة يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع، وتارة يكون في كلي وأصل من أصول الدين ـ كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية ـ فتراه آخذا ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها، حتى يصير منها إلى ما ظهر له بادي رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها، وهذا هو المبتدع

والثاني : إتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء ، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك.

---

[1] - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرّح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن"، انظر الأعلام : مرجع سابق.

[2] - انظر: القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٦/١٩ ، مرجع سابق.

والثالث : التصميم على إتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق ، وهو إتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ ، وأشباه ذلك ، وهو التقليد المذموم ، فإن الله ذم بذلك في كتابه ، كقوله: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}([1]) ثُمَّ قَالَ : {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ*}([2])، وَقَوْلُهُ: {هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ *أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ*}([3]) (فَنَبَّهَهُمْ) عَلَى وَجْهِ الدَّلِيلِ الْوَاضِحِ فَاسْتَمْسَكُوا بِمُجَرَّدِ تَقْلِيدِ الْآبَاءِ/ فَقَالُوا: {بَلْ وَجَدْنَا/ آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ([4])}([5]).

إن محاولة فهم الحديث بمنظور التعصب المذهبي له أثر سيئ في تعامل المسلمين مع النصوص الحديثية إلى درجة تأويل الأحاديث بتأويلات فاسدة أو تعطيلها عن العمل بها لمجرد مخالفة تلك الأحاديث لمذهب إمام معين.

وهذه الظاهرة تعتبر من العقبات الشائعة التي تسد باب الفهم للأحاديث أو تؤدي إلى فهم غير مقصود في الحديث، أو تفرض على مقلد المذهب عدم الاستفادة من أدلة حديثية تخالف مذهبه. بل وصل التعصب ذروته إلي أن تم كتابة أحاديث مكذوبة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وذلك لذم بلد أو مدح آخر وكتب في هذا الباب الإمام ابن الجوزي فصلا كاملا سماه أحاديث في فضل بلدان وذم بلدان وذكر في هذا الباب الكثير من الأحاديث في ذلك([6]) - ولقد كنت متعجبا من هذا الأمر ولكن زال هذا التعجب عندما رأيت في زماننا الحديث بعض الجماعات الإسلامية وطريقة تعاملها مع الحديث النبوي قبولا ورفضا وما حديث خير أجناد الأرض عنا ببعيد ، وإذا ما نظرنا إلى كتب الفقهاء وشروح الحديث التي ألفت في عصور التعصب المذهبي، وجدنا آثار المذهبية قد غلبت عليهم في قضية تعاملهم مع الأحاديث حتى أن بعضهم سموا الأحاديث التي استدلت بها مذاهب أخرى "أحاديث الخصوم[7]". ولذا يجب على الباحثين الابتعاد عن روح التقليد المذهبي لئلا يضيقوا الواسع ؛والاستفادة من آراء أئمة السلف دون تعصب لواحد منهم ما دام الهدف هو الوصول إلى الحق في مسألة معينة.

المظهر الثاني: الاعتماد علي الأحاديث الضعيفة والموضوعة

لا يخفي علي أحد مدي انتشار الكثير من الأحاديث الموضوعة والضعيفة بين المسلمين ولجهل الكثيرين بهذا الأمر وخطورته لاقت هذه الأحاديث قبولا لا سيما وأن أغلب هذا الأحاديث في فضائل الأعمال كالحث علي فضائل بعض السور وغير ذلك ،

[1] - سورة الزخرف: الآية (٢٣).
[2] - سورة الزخرف: الآية (٢٤).
[3] - سورة الشعراء: الآيتان (٧٢، ٧٣).
[4] - سورة الشعراء: الآية (٧٤).
[5] - راجع : الشاطبي ، الاعْتِصَام ، ٣/ ٩٨- ١٠٨ ، بتصرف .
[6] - انظر : ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/ ٣٠٤- ٣١٣.
[7] - انظر : عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، ٨٢/١ ، ٢٧١/١.

ومن الممكن أن يتساهل بعض الدعاة في ذكر هذه الأحاديث وهذا من الخطورة بمكان خاصة وأنه معلوم لدينا أن الخلافات العقدية والمذهبية والسياسية هي نتيجة تسرب الأحاديث الباطلة في الأمة غالباً ونظرا لخطورة هذا الأمر، يتبين لنا عظم المسؤولية الملقاة على عاتق طلبة العلم وبالذات المتخصصين في هذا المجال ، ولذا كتب الأستاذ الدكتور بكر زكي عوض رسالة إلي الدعاة قائلا لهم :

وأقول للدعاة بخاصة : إن الفكر يسطر علي الورق ، وعلي العقل وإن الإدانة في كلتا الحالتين لا تقل عن الأخري ، وإن خطبة الجمعة بخاصة هي كلمات تنقش في العقول ، فاتقوا الله فيم تقولون ، وراقبوه فيما تنطقون ، واحترموا عقول المستمعين فلا تذكروا الأساطير ، ولا تستفيضوا في القال والقيل.وعليكم بالحقائق وذكر الدقائق العلمية وعندكم سعة من العلوم والمعارف في القرآن والسنة والتاريخ والسير ، فقدموا للناس ما ينفعهم واحرصوا علي رضا الله وإن أغضبتم الناس وما أظن شيئا يرضي الله سوف يغضب الناس.

أكثروا من القراءة لعمالقة العصر كالرافعي والمازني والعقاد في الأدب وشوقي وحافظ إبراهيم وعلي الجارم في الشعر والإمام شلتوت وأبي زهرة والغزالي ... طوفوا كالنحل في بساتين المعرفة وقدموا للناس عسلا مصفي واعلموا أن العقول الآن وقادة نقادة وأنها غير مستعدة لقبول الخرافات والأساطير ، حكموا عقولكم فيما تقرأون إن لم يكن حُكم علي المقروء قد صدر ، وزنوه بميزان القرآن والسنة ، فإن وافق فاطرحوه وإن لم يوافقهما فاطرحوه . وشتان بين طرح وطرح . ما أيسر القصص الهادف والمواعظ البناءة وتراثنا في هذا المجال مفتوح كما في جامع العلوم والحكم ، وأدب الدنيا والدين وإحياء علوم الدين وغيرها.

دعوا القصص المكذوب ، الموضوع لأجل الإقناع بشيء ما ، مع أن مخالفته للنص ظاهرة.

في شهر رمضان الماضي جاء أستاذ من كلية اللغة العربية بالقاهرة ليلقي موعظة في مسجد بمدينة أجا دقهلية وتطرق للصلاة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وفضلها وذكر قصة أطال فيها وضيع الوقت وانتهي إلي أن طالحا مات وأسود وجهه بعد وفاته فحزن ابنه لحاله ، وبعد فترة وجد وجه أبيه أبيض والنور منه يتلألأ- بعد وفاته- أخذته سنة من النوم فرأي أباه في المنام فسأله عن سبب تغير وجهه من السواد إلي البياض فقال له : كنت قد صليت علي الرسول صلي الله عليه وسلم فجاءني ومسح وجهي بعد موتي ، فهو النور الذي تراه... الخ.

دعوة صريحة إلي العصاة أن يطمئنوا وإلي الحشاشين أن يستبشروا وإلي الكذابين أن يفرحوا ،فتكفيهم صلاة واحدة علي الرسول ليتغير حالهم كما في الرواية ، أهذا ما يسطر علي العقول وما نربي عليه الأجيال([1]).

وأقول لأصحاب النوايا الطيبة من الأخوة الدعاة المتساهلين في هذا الأمر ما قاله العلامة السيوطي[2] "ولا فرق في تحريم الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك وكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الاجتماع إلى أن قال وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحي والكذب عليه كذب على الله تعالى([3]).

ومن فضل الله علي الأمة أن يسر من يذب عن أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ومنها علي سبيل المثال لا الحصر كتاب النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية قال مؤلفه رحمه الله "فكان جميع الذي تيسر لي جمعه على قدر الإمكان: أربعمائة حديث، كلها مكذوبة، وباطلة، ومنكرة، وتركت أسانيدها لكونها لا أصل لها، وقليل أبين قائله تبعا للأصل المأخوذ منه وسميتها: " النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية"[4] ومن هذه الأحاديث علي سبيل المثال " شراركم عزابكم([5]) ، يوم صومكم يوم نحركم، يوم سنتكم الجديدة([6])

٣- أما خطوات التجديد التي ألتمسها فتكمن في الخطوات الآتية:

١ -لابد أن تتفاعل الدراسات الحديثة مع جهود القدماء بطبع كامل جهودهم في تخريج الحديث الموضوع ، والأحاديث التي لا أصل لها في مؤلف واحد ، على أن تقوم لجنة علمية مختصة بتبويبه وتنظميه (حسب المضمون) وتحقيقه تحقيقا علميا ، ليكون مرجعاً علمياً يعتمد عليه الباحثون و المدافعون عن السنة النبوية المطهرة.

٢ -لابد من تذكير الأمة الإسلامية بأن الأحاديث الموضوعة لا أصل لها ، وينبغي على المؤسسات الدعوية في العالم الإسلامي أن تتحين المواسم والأحداث التي يكثر فيها ترداد مثل هذه الأحاديث ، وتقوم بإصدار نشرات توعية ، مشتملة على كل ما يدس على رسول الله وهو منه بريء.

٣- - رد الاعتبار للأحاديث النبوية التي ضُعفت وليست بضعيفة:

---

[1] -راجع:أ.د/ بكر زكي عوض، التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس ،١٠٢-١٠٥.

[2] - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب ، توفى: ٩١١هـ، انظر الأعلام : مرجع سابق.

[3] - انظر: جلال الدين السيوطي ،تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، ، ٧٠/١.

[4] - انظر: محمد الأمير الكبير المالكي ،النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية ، صـ ٢٦.

[5] - المرجع السابق صـ ٧٠

[6] - المرجع السابق صـ١٣٦.

وهذه الخطوة من الأهمية بمكان ، فكثيرا ما نجد من القدماء من يضعّف حديثا ، ثم يجد المتابع أن الحديث روي من طرق عدة يقوي بعضها بعضا ، وربما يُحكم علي أحد الرواة بالضعف ، وهو ليس كذلك عند المتابعة ، وربما يكون الحديث ضعيفا ، ولكن معناه صحيح .

٤ - تشكيل لجنة علمية ، لتحديد قائمة بأسماء الكتب ، التي تعتمد في أساسها على ذكر الأحاديث الموضوعة ، أو تكثر منها مثل خطب ابن نباته ، وإحياء علوم الدين للغزالي .

وإعداد مذكرة تفصيلية بما فيها من أوهام ، تلحق بالكتاب ، وتقوم وزارة الأوقاف والأزهر الشريف بطبعها، وتوزيعها على الخطباء والأئمة والمختصين ، لتصبح هناك طبعات شرعية محققة لتلك الكتب . أما أن يظل الأمر فوضى فهذا غير مقبول([1]).

٥- أن يلتزم كل المؤلفين والمحققين والخطباء والوعاظ والمدرسين ببيان درجة الأحاديث التي يذكرونها ، وأن لا يكتفوا بعزوها إلى مصادرها ، لأن هذا لا يسمن ولا يغني معرفة الحديث الصحيح من غيره وبذلك لا نقع في وعيد([2]) قوله :" كفي بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع " ([3]).

٦- إعداد موسوعة إسلامية حاسوبية في مجال الفهرسة ، والتصنيف للحديث النبوي ، ترشدنا إلي موقع الحديث النبوي في جميع كتب الأحاديث ، فنحن في حاجة ماسة إلي موسوعة حاسوبية مفهرسة جيدا ، ومبرمجة علي أعلي مستوي لحصر الحديث النبوي الموجود في الكتب المعتمدة وغير المعتمدة بحيث يتم تخزين مئات كتب الحديث والتراجم والتخريج والشروح واعتماد هذه الموسوعة الحديثة من المختصين ولتسهيل هذا الأمر فمن الممكن أن يكون هذا المشروع في إطار إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات المتخصصة.

المبحث الخامس: التجديد في علم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

السيرة النبوية هى التجسيد الحي ، والتطبيق العملي لتعاليم الإسلام كما أرادها الله تعالي وقد وردت سيرته عليه الصلاة والسلام أول ما وردت في القرآن الكريم، والدعوة إلى تجديد السيرة ، لا تعني صوغها بطريقة أدبية فنية ، كما أنها لا تعني طمس معالم النبوة بحذف معجزات النبوّة ، "إن الغرض من السيرة أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم ، بعد أن فهمها مبادئ وقواعد مجردة في ذهنه فدراسة السيرة عمل تطبيقي، يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية في مثلها الأعلى محمدصلي الله عليه وسلم ([4]).

---

[1] -انظر: د- محمد حسانين حسن حسانين ، تجديد الدين مفهومه ، وضوابطه ، وآثاره ،صـ٣٧٣ – ٣٧٦.

[2] - انظر:د عدنان محمد أمامة ، التجديد في الفكر الإسلامي ،صـ ١٩٧، مرجع سابق.

[3] - صحيح مسلم ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ماسمع ، ٨/١ ، رقم ٧.

[4] - انظر:محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة ، صـ١٧.

معالم تجديد السيرة النبوية :

١ـ الوقوف علي فقه السيرة :

فقه السيرة باب عظيم من الأبواب المهمة التي ينبغي أن يقف أمامها كاتب سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم ولطالما كانت الأمة في حاجة ماسة ذلك الفقه خصوصا في تلك الأيام التي كثرت فيها النوازل والمستجدات التي تحتاج إلى فقيه متمرس، ولن يبلغ من يدعي التمرس في الفقه درجة الإجادة حتى يتقن السيرة العطرة ويفقه أحداثها ، ومن هذا السبيل وقوف الدكتور البوطي أمام حادثة زواج النبي محمد صلي الله عليه وسلم من أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، فلم ينشغل بالروايات وبسرد الأحداث على حساب الفقه الجليل من هذه الحادثة ، وإذا كان الدكتور "البوطي[١] " وقف أمام فقه تعدد الزوجات في سيرته صلي الله عليه وسلم[٢]، فنجد أن الأمام الغزالي يرشدنا إلى فقه عظيم ، يتمثل في سياسة طول النفس، والخطط طويلة الأجل وكان ذلك في فتح مكة[٣] ، وإذا تركنا تعدد الزوجات و فتح مكة ووقفنا على حفر الخندق ، فنجد الشيخ مصطفى السباعي يقف أمام فقه حفر الخندق وقفة متأنية ، مستخلصا الآتي : "في قبوله صلي الله عليه وسلم إشارة سلمان بحفر الخندق ، وهو أمر لم تكن العرب تعرفه من قبل ، دليل على أن الإسلام لا يضيق ذرعا بالإفادة مما عند الأمم الأخرى من تجارب ، تفيد الأمة وتنفع المجتمع ، فلا شك أن حفر الخندق أفاد إفادة كبرى في دفع خطر الأحزاب عن المدينة. وقبول رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه المشورة دليل على مرونته واستعداده لقبول ما يكون عند الأمم الأخرى من أمور حسنة ([٤]).

٢ـ الوقوف علي الجوانب الحضارية في السيرة :

"إن السيرة النبوية ديوان الحضارة الإسلامية ...ولا يخفي علي مطلع أهمية إبراز الجانب الحضاري في سيرة المصطفي صلي الله عليه وسلم ولا سيما في بلاد غير

---

[١] - عالم سوري متخصص في العلوم الإسلامية، ومن المرجعيات الدينية الهامة على مستوى العالم الإسلامي، حظي باحترام كبير من قبل العديد من كبار العلماء في العالم الإسلامي، اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في دورتها الثامنة عام ٢٠٠٤ ليكون «شخصية العالم الإسلامي»، باعتباره «شخصيةً جمعت تحقيقَ العلماء وشهرةَ الأعلام، وصاحبَ فكرٍ موسوعيّ»،واختاره المركز الإسلامي الملكي للدراسات الإستراتيجية في الأردن في المركز ٢٧ ضمن قائمة أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيراً في العالم لعام ٢٠١٢، ويُعتبر ممن يمثلون التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة.ترك البوطي أكثر من ستين كتاباً في علوم الشريعة، والآداب، والتصوف، والفلسفة، والاجتماع، ومشكلات الحضارة، كان لها أثرٌ كبيرٌ على مستوى العالم الإسلامي.
في فترة أحداث سوريا ٢٠١١-٢٠١٣ أصبحت مكانة البوطي في العالم الإسلامي مثاراً للجدل والخلاف بسبب موقفه الرافض للثورة السورية، ودعمه لنظام الرئيس بشار الأسد، انتهت بتعرّضه للاغتيال يوم ٢١ مارس ٢٠١٣، الذي اتفقت المعارضة والنظام السوري على إدانته، وأثار موجة تنديد كبيرة على مستوى العالم، وقد اتهمت المعارضة النظامَ بتدبير الاغتيال بعد ورود أنباء عن عزم البوطي على الانشقاق وتغيير موقفه من الثورة السورية، والهجوم على النظام. بينما اتّهم النظام السوري المعارضةَ باغتياله واصفاً إياهم "بأصحاب الفكر الظلامي التكفيري". انظر: https://ar.wikipedia.org .

[٢] - راجع : محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة ، صـ ٧١.

[٣] - راجع : محمد الغزالي ، فقه السيرة ، صـ٤١٨.

[٤] - انظر: مصطفي السباعي ، السيرة النبوية دروس وعبر ، صـ ١٢٩.

المسلمين ، حيث يقدم الحلول الناجعة لمشكلاتهم المعقدة ، وعليه فإن تجلية جوانب الرحمة بالمخالف والتسامح مع الأعداء ، والرفق بالصغير والجاهل والعامي في سيرة النبي صلي الله عليه وسلم من شأنه أن يؤلف القلوب على الإسلام ويكشف عن سماحته للقاصي والداني ، وفي إيضاح جوانب تكريم الإسلام ونبيه صلي الله عليه وسلم للمرأة أمًّا وبنتًا وأختًا وزوجًا ما يدفع كثيرًا من الشبهات التي تثار حول المرأة وحقوقها في الإسلام([1]).

٣- تخريج روايات السيرة:

تخريجا يبين المرسل والمنقطع والمدلس والضعيف والموضوع والصحيح ، وهذه الدراسة تحتاج إلى الوقوف على كافة روايات السيرة وقوفا إحصائيا، يلملم كل الروايات بجميع طرقها، ثم يخرج لنا مصنفا، يصح أن يطلق عليه صحيح السيرة العطرة ، ولن يغني هاهنا أن يقوم بهذا العمل فرد ، إن الأمر كما أؤكد يحتاج إلى جهد هيئات علمية محترمة ، وهذا الجهد يقتضي أيضا عدم الركون إلى روايات كتب السيرة فحسب ، وإنما العودة إلى كتب الحديث النبوي من المسانيد والجوامع والصحاح والسنن والأجزاء والفوائد المطبوعة منها والمخطوطة ، واستخراج الأحاديث المتعلقة بالسيرة النبوية، ومقابلتها بتلك الروايات.

٤ – "أن لا تفسر الأحداث بطريقة الإسقاط التاريخي :

والمراد بالإسقاط التاريخي تفسير الأحداث ، وتقييم الملابسات ، لا بما تقتضيه طبيعة الحدث ، وما احتفت به من مناخ إنساني ، وإنما النظر إليه من خلال لحظتنا الراهنة ، وإنزاله علي وقائع جديدة ، ومتغيرات غربية عن بيئة الحدث ، وبالتالي يجري إخضاع حقائق الموقف التاريخي القديم ، لتحكمات العواطف السياسية أو الاجتماعية الراهنة ، أو لتوجهات العقول الفكرية ، والمذهبية ، ويصار إلي قسر الموقف التاريخي علي النطق بما تمليه تلك التحكمات...

٥ - أن لا يجري تفسير الأحداث تحت وطأة الهزيمة الفكرية:

فكثير من الباحثين ، وبدافع القهر النفسي والفكري الذي أحدثه الغزو الفكري في ديار المسلمين يعمد إلي الأسلوب الاعتذاري عند الكلام علي بعض الأحكام الشرعية التي لا يستسيغها الغرب ومن شايعهم ، كالجهاد والفتوحات الإسلامية ، فيفسرها علي أنها دفاع عن حدود شبة الجزيرة العربية أمام تحركات الفرس والروم ، ويميل إلي نفي معجزات الرسول الثابتة وغيرها من أمور لا تخضع للتفسير المادي خضوعا وانصياعا للفكر المادي والفلسفات الوضعية([2]).

بل يجب علي الباحث المسلم أن يستعلي بدينه ويعتز بعقيدته الربانية ، وأن يستقل استقلالا تاما بمنهجه وفكره عند تفسيره للأحداث .

---

[1] - انظر:د- محمد يسري ، التجديد فى عرض السيرة مقاصده وضوابطه ، صـ ٦٧.

[2] -انظر : د- عدنان محمد أمامة ، التجديد في الفكر الإسلامي ، صـ٢٥٢- ٢٥٤.

٦ـ العناية بالقراءة الاستنباطية من السيرة النبوية :

والسيرة النبوية تزخر برعاية المآلات، فإذا كان الفعل يؤدي إلى أمر مرغوب فهو مطلوب وإن كان يؤدي إلى شر أو محظور فهو منهي عنه ، "ولا شك أن الحكمة النبوية في التشريع والتصرفات المصطفوية تتجلى بوضوح في السيرة المحمدية، وقد رأينا المصطفى يكفن رأس المنافقين في قميصه ويصلي عليه، لما يرجو من المآلات المحمودة باستمالة أهله وأتباعه، والمستظلين بلواء زعامته ،ومن قبل كفّ النبي صلي الله عليه وسلم عن قتله وأمثاله من رؤوس النفاق ، لئلا يئول الأمر إلى الصد عن سبيل الله إذا قال من لا يدري: إن محمداً صلي الله عليه وسلم يقتل أصحابه ، ولما تزوج صلي الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث وجعل مهرها عتقها قال الناس لسباياهم من بني المصطلق: أصهار رسول الله صلي الله عليه وسلم وأرسلوا ما بأيديهم.

حتى قالت عائشة رضي الله عنها: فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

فكان في زواجه صلى الله عليه وسلم من جويرية من جميل المآلات ما يحسن بدارس السيرة والمجدد في عرضها أن يتوخى إبرازه وإظهاره، ليكون معلَّما يهدي للتي هي أحسن([1]).

[1] ـ انظر: د- محمد يسري ، التجديد فى عرض السيرة مقاصده وضوابطه ، صـ ٥٩.